تشغيـل الأطفـال: تحليل الظاهرة في تونس (دراسة حالة مثالا تطبيقيا)

Travail des enfants: Analyse du phénomène en Tunisie (Étude de cas un exemple appliqué)

د. هلال صويدي
جامعة تونس، تونس
souidihilel@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 25 / 08 / 2019 تاريخ القبول: 15 / 09 / 2019 تاريخ النشر: 30 / 09 / 2019

ملخص:

سنحاول في هذه الورقة دراسة تشغيل الأطفال كظاهرة اجتماعية ومشكل إنساني بالأساس، وإذا ما تأملنا في عمق الظاهرة، يبدو الحال اليوم في أوساط مجتمعاتنا المتحضرة التي يغلب عليها التصادم والتناحر والتعصب والأنانية والتعلق المفرط بالمادة على حساب المبادئ والقيم، ومن مظاهر التمييز والإقصاء وتعطل لغة الحوار البناء. هذه العوامل السلبية تساهم بقسط كبير وبشكل واضح في بروز عديد الظواهر الاجتماعية الخانقة وانتشارها في كل دول العالم ومن أبرز هذه المشاكل التي تهدد سلامة واستقرار المجتمعات وتعرقل عملية النهوض والتنمية الشاملة هي مشكلة التنمية الشاملة، في قضية تشغيل الأطفال واستغلالهم اقتصاديا. هذه الظاهرة، بالنظر إلى تداعياتها الخطيرة تبقى من أدق وأعقد الظواهر الاجتماعية التي يشهدها العالم المعاصر وتتخبط في مستنقعاتها مجتمعاتنا الحديثة.

- ***الكلمات المفتاحية:*** *طفل، مشكل، معاناة، ظاهرة، دراسة حالة.*

Résumé:

Dans cet article, nous allons étudier le phénomène de l'exploitation des enfants en les faisant travailler. En fait, c'est un manifeste social et problème humaniste essentiellement. Il faut bien observer à l'intérieur de ce phénomène qui parait de nos jours dans notre société civilisé qui est submergé par l'égoïsme et le matérialisme. D'ailleurs ces facteurs négatifs ont un grand rôle dans l'apparition de ces phénomènes sociaux et aussi bien développement dans le monde entier.

La majorité des enfants qui travaillent sont invisibles hors de notre et hors d'atteinte des lois. Beaucoup d'enfants ne sont pas seulement exploités, leur droits à l'éducation, à des soins médicaux, de base, à une nutrition adéquate aux loisirs ainsi qu'à même une vie protégée et sans danger dans leur famille et leur communautés sont également bafoués.

Il faut donc lutter contre ce phénomène et aussi le contrôler. D'ailleurs, il va y avoir l'étude de trois cas différents pour faire une récapitulation concernant ceci.-

Keywords: *Enfants – problèmes – lutter – manifeste – étude de certain cas.*

1- المقدمة :

قبلت ظاهرة تشغيل الأطفال في مرحلتها الأولى وخاصة في البلدان الصناعية أيام صعود الصناعة، وتشكل النمط الرأس مالي نزعة من عدم الاكتراث والإهمال واللامبالاة. وشهدت هذه الظاهرة انتشارا وتغلغلا في كل دول العالم بدون استثناء، وبدأ تدريجيا الوعي بمخاطرها على الأطفال خاصة في الدول الفقيرة والنامية. و تحولت إيجابيا في مواقف الرأي العام العالمي والضمير الإنساني حيث تمّ الاعتراف بها رسميا وتبنيها باعتبارها مشكلة إنسانية حقيقية تهدد كل أوجه الحياة الاجتماعية كما أنّها شهدت أيضا اقتحام وعناية كل الأخصائيين الاجتماعيين في شتى المجالات العلمية الثقافية، الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص فأصبحت بذلك مجالا واسعا لإنجاز عديد البحوث والدراسات العلمية الاجتماعية مستفيدة من تقدم علم الاجتماع الحديث وتطور مناهجه العلمية وطرق وأساليب عمله وتدخله.

إن هذه الظاهرة الاجتماعية بما لها من تداعيات خطيرة ومؤثرات سلبية على تماسك بنية المجتمع وعلى ضمان استقراره وتطوره ونمائه، تعدّ من أخطر وأعقد المشاكل الاجتماعية وأشدها وقعا وتأثيرا على واقع الحياة الاجتماعية وعلى جميع مستويات فئات وشرائح المجتمع.

ومن هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس كان لزاما على المجتمع الدولي بكل هياكله ومكوناته ومؤسساته ومنظماته الرسمية وغير الرسمية أن يقف بكلّ حزم وقفة فعالة وأن يجند كل طاقاته، ويسخر كل إمكاناته المادية والبشرية والعلمية والتقنية لفائدة كل أطفال العالم، وخدمة لقضيتهم العادلة وحمايتهم ومراعاة حقوقهم ومصالحهم الفضلى، وتخليصهم من الاستغلال والاستبداد، ووضع حد لمأساتهم ومعاناتهم، وتلك غاية ملحّة تعمل على إدراكها الدول والمجتمعات الفاعلة للخير والرفاه لأبنائها وأجيالها من حيث أنها تمثل أولوية مؤكدة وخيارا استراتيجيا لا رجوع عنه.

هذه المشكلة الإنسانية الأخلاقية يمكن أن يصح معها القول بأنها ملأت الدنيا وشغلت الناس وحركت العقول وأحيت الضمائر بعد جفاء طويل. إنها معاناة مئات الملايين من الأطفال القصّر العاملين في كل أرجاء العالم، أطفال أبرياء، ضعفاء لا حول ولا قوة لهم، يخضعون لظروف لا إنسانية

من الظلم والقسوة وسوء المعاملة والتمييز والإقصاء والاستغلال، حاضرهم بؤس وشقاء وألم ومعاناة ومصيرهم غامض ومجهول، أطفال تنهب حقوقهم وتسلب حرياتهم، وتنهك كرامتهم وإنسانيتهم، وتطمس معالم شخصيتهم، في حين ينعم الكثير من أترابهم بالأمن والراحة ويسعون بالرفاه والعيش الكريم.

ولكي نوجه البحث حول هذه الإشكالية ارتأينا تناولها على ثلاث واجهات:

- على واجهة أولى، سيقع رصد عوامل انتشار الظاهرة محاولين الوقوف على أهم خصوصياتنا.
- وعلى واجهة ثانية سنتطرق إلى المكافحة المؤسساتية لهذه الظاهرة باعتبارها واقعا ملموسا.
- وفي مرحلة ثالثة وأخيرة نسعى إلى مختلف الإستنتاجات من خلال دراستنا لثلاث حالات مختلفة.

بالإجابة عن هذه الإشكالية يجب التطرق في هذه الدراسة أوّلا إلى:

2. تحديد المفاهيم

1.2 تشغيل الأطفال:

يعد تشغيل الأطفال او ما يسم" بعمالة الأطفال' من الظواهر الاجتماعية السيئة التي تنتشر بشكل كبير في المجتمعات وخاصة منها الدول النامية وهذا ما يهدد مستقبلهم ويسلب طفولتهم.

2.2 الطفل:

تمثل الطفولة مرحلة هامة، حساسة ودقيقة في حياة الإنسان وذلك " لمالها من خصوصيات ذاتية تميز إمكانياتها الجسمية وميولاتها الوجدانية وقدراتها الفكرية الدقيقة ومهاراتها العملية" **(خماخم رضا، 1995، ص : 08)**

وفي ذلك تحتاج، بل تستوجب العناية والرعاية والحماية الكاملة .

فالطفل " بسبب عدم نضجه البدني والفكري فهو دائن المجتمع بأسره" **(زين الدين طفيلي، 2004، ص : 17)**

هذا وقد أمكن تحديد تعريف الطفل من وجهات نظر وحسب مفاهيم متعددة :

- من وجهة نظر علم النفس: حدد علم النفس النمو مرحلة الطفولة" من مرحلة ما قبل الميلاد حتى بداية سن المراهقة "
- من وجهة نظر التشريعات القانونية. عرفت اتفاقية حقوق الطفل في مادتها الأولى الطفل على أنه" كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة، ما لم يبلغ سن الرشد قبل ذلك بموجب القانون المطبق عليه "كما عرفته مجلة حماية الطفل في تونس، في فصلها الثالث " كل إنسان عمره أقل من ثمانية عشر عاما ما لم يبلغ سن الرشد بمقتضى أحكام خاصة".
- القانون المدني: الذي يسمح للطفل بداية من سن 13 عاما وقبل بلوغه سن الرشد المدني المحدد بعشرين عاما في مجلة الالتزامات والعقود من أن يتمتع بأهلية مقيدة.

قانون الشغل: الذي يسمح للطفل بداية من 16 عاما بأن ينخرط في العمل بما تتم مع ما أقرته المعايير الدولية المتعلقة بتشغيل الأطفال".**(زين الدين طفيلي، 2004، ص : 05)**

3. الفرضيات:

- تدني المستوى الاجتماعي للعائلة أفضل دليل على دفع الأطفال للشغل
- تقصير الهياكل المعنية في مراقبة المؤسسات المشغلة للأطفال
- غياب ثقافة الشغل القانونية وعدم توعية المواطن

4. المنهج

اعتمدت في تحليل هذه الظاهرة على المنهج الكيفي الذي يعتمد بدوره على دراسة السلوك والمواقف الإنسانية وهو عبارة عن بحث علمي يعتمد على البيانات النوعية حيث يقدم فيه الباحث التفسيرات الشاملة لموضوع أو مشكلة معينة.

5. الجانب النظري

1.5 تشغيل الأطفال من منظور قانوني:

"لتشغيل الأطفال نتائج خطيرة تستمر مع الفرد ومع المجتمع لفترة أطول من سنوات الطفولة. والعاملون الصغار لا يواجهون ظروف خطيرة فحسب، ولكنهم يواجهون أيضا معاناة بدنية وذهنية وعاطفية على المدى الطويل كما يواجهون البطالة والأمية عندما يصلون إلى سن البلوغ".**(www.Antislavery.org/homepage/antislavery/arachildlabour.htm)**

إن معنى تشغيل الأطفال آو ما يسمى" بعمالة الأطفال" في تعريفه العام المقصود به أساسا هو تكليفهم بالقيام بعمل ما أو يتعاطى نشاط معين مأخوذ، أي بمقابل، أو غير مأجور، وذلك لحساب مصلحة العائلة أو لحساب الغير، هذا، ويمكن أن تتعدد وتختلف المفاهيم بتعدد واختلاف نوعية العمل ومجالاته وظروفه، وكذلك باعتبار سن الأطفال .

- إن تشغيل الأطفال يعد أيضا استغلال اقتصادي من خلال تقديم مساهمة اقتصادية منتجة لأسرهم من خلال المساعدة في مزرعة الأسرة أو عملها التجاري، أو الانخراط في سوق العمل الرسمي، أو تزويد خدمات منزلية لأسرهم. يساعد الأطفال بهذه الأساليب في تأمين الغذاء والمأوى والكي، علاوة على إعالة أنفسهم وأشقائهم أو غيرهم من أفراد أسرتهم"

(http://usinfo.stage.gov.journals/sites/0505/ijea/edmonds.htm)

كما حددت اتفاقية حقوق الطفل بدورها معنى تشغيل الأطفال على أنه يمثل استغلالا اقتصاديا حيث " تعترف الدول الأطراف بحق الطفل في حمايته من الاستغلال الاقتصادي ومن أداء أي عمل يرجح أن يكون خطيرا أو أن يمثل إعاقة لتعليمه أو أن يكون ضارا بصحته أو بنموه البدني، أو العقلي، أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي". **(إتفاقية حقوق الطفل، 1989، ص : 25).**

- المثاق الأفريقي لرفاهية وحقوق الطفل (1990) تناول هو أيضا اعتبار تشغيل الأطفال كشكل من أشكال الاستغلال الاقتصادي، وذلك إسنادا وتمشيا مع اتفاقية حقوق الطفل".

كما ركزت أيضا مجلة حماية الطفل في تونس على نفس الجانب، فعرفت الاستغلال الاقتصادي بكونه " تعريض الطفل للتسول أو تشغيله في ظروف مخالفة للقانون أو تكليفه بعمل من شأنه

أنه يعوقه عن تعليمه أو يكون ضارا بصحته أو سلامته البدنية أو المعنوية ".(**خماخم رضا، 1995، ص : 28)**

- والمقصود بالظروف المخالفة هو جعل الطفل ينقطع مبكرا عن الدراسة والالتحاق بسوق العمل في سن مبكرة واستغلاله خارج الإطار والصور المشار أليها ضمن إحكام مجلة الشغل في تونس التي تنص على أنه "لا يمكن تشغيل الأطفال الذين نقل سنهم عن ستة عشر سنة في جميع الأنشطة الخاضعة الواردة بنفس المجلة " **(مجلة الشغل في تونس، 1996)**

هذا وتجدر الإشارة إلى أن كل الاتفاقيات الدولية المتعلقة بمجال حقوق الإنسان عموما، وحقوق الطفل على وجه الخصوص، قد ضربت حضرا كاملا وشاملا على كافة أشكال استخدام الأطفال لأغراض تنافي مع مبادئ القيم الأخلاقية الإنسانية. وفي هذا السياق، اعتمد مؤتمر العمل الدولي في دورته 87 خلال شهر 1999 اتفاقية جديدة القضاء على " أسو أشكال عمل الأطفال"**(الإتفاقية الدولية، 2000)**

وهي الاتفاقية رقم 182" التي تمت المصادقة عليها رسميا من المجتمع الدولي، والتي تخص كل الأطفال دون سن الثامنة عشرة، حيث حددت أسوأ أشكال تشغيل الأطفال من ضمنها.

جميع أشكال الرق والممارسات الشبيهة بالرق، الإتجار بالأطفال، القنانة، العمل الإجباري التحييد ألقسري للأطفال لاستخدامهم في منازعات مسلحة، استخدامهم في أعمال الفساد والدعارة، كذلك تشغيلهم أو عرضهم لمزاولة وتعاطي أنشطة غير مشروعة ولا سيما تلك المتعلقة بالمخدرات وكل الأعمال التي يرجح أن تؤدي إلي الهلاك بصحتهم أو سلامتهم أو سلوكهم الأخلاقي.

6. تشغيل الأطفال ظاهرة اجتماعية ومشكل إنساني:

1.6 تشغيل الأطفال ظاهرة اجتماعية:

سنؤكد من خلال الدراسة على تقويم الظاهرة الاجتماعية، من خلال علاقة تفاعلية تباينية بين متقابلين رئيسيين: النظام الاجتماعي القائم من جهة، والفوضى، أي الإخلال بالقواعد الطبيعية العادية التي يقوم عليها النظام الاجتماعي من جهة أخرى.

و في هذا الإطار، يمكن تعريف المشكلات الاجتماعية، أي الظواهر الاجتماعية، على أنها تعبير عن عجز الفاعلين الاجتماعيين على إيجاد صيغ وأساليب توافق بين ما هو مطلوب ومرغوب من جهة، وبين ظروفهم وأوضاعهم الواقعية من جهة أخرى. وهي تحدث بذلك خللا في بنية وهياكل النظام الاجتماعي القائم، وتعطل الفاعلين الاجتماعيين على أداء أدوارهم الطبيعية العادية مما ينمي اعتمادهم بضرورة التدخل الفعلي.

عموما، يمكن تعريف الظاهرة الاجتماعية على أنها بناء أو قيام أنموذج جديد لسلوك وتصرفات وتفاعلات جديدة تؤسس وتنتج أشكالا وأنماط وأوضاعا جديدة تحدث خلل في النظام السائد واضطرابا على مستوى العلاقات العادية بين الفاعلين الاجتماعيين في ما بينهم من جهة، وبينهم وبين النظام الاجتماعي من جهة أخرى.

- هذه الظواهر يمكن إخضاعها للتجربة العلمية ودراستها وتحليلها وفهمها علميا من خلال المقاربات التي يقترحها ويطرحها " علم الظواهر الاجتماعية" خلال ترابطها وتواصلها الطبيعي المنطقي مع " برنامج الطرائقية الإتنولوجية أو "الإتنوميتودولوجيا" لـ"هارولد قرفينكل"[1].

2.6 تشغيل الأطفال مشكلة إنسانية:

- يتجلى مفهوم الإنسانية في مغزى هذه الحكمة التي تقول بأن الإنسانية هي أن يتشبع الإنسان بالثقافة، وأن تتحول هذه الثقافة إلى سلوك ينبع من فكر الإنسان وضميره.

يمكن القول بأن ظاهرة تشغيل الأطفال بمختلف مظاهرها وتعدد مجالاتها، هي بالأساس وقبل كل شيء سلوك غير حضاري وتعامل لا إنساني، وذلك بقطع النظر عن الدوافع التي أسست لها والعوامل التي أنتجتها أو تسببت في انتشارها هذا بالإضافة إلى صبغتها اللاقانونية في أغلب

[1]- فرفينكل هالود سوسيولوجي أمريكي، يعتبر مؤسس التيار الجديد، "الإتنوميتودولوجيا" (**l'éthnométodolgie**) ومخترع هذه اللفظة (أو التسمية).

الحالات الرائجة، من جهة، وبكون هذا النمط من السلوك تتعارض أصلا مع روح ومعاني الطفولة، كما أنه يتناقض ولا يستجيب للمبادئ الأساسية العامة لحقوق الإنسان ولمبادئ حقوق الطفل ومصالحه الفضلى على وجه الخصوص من جهة أخرى .

وتؤكد مجلة حماية الطفل بأنه "يبدأ احترام حقوق الإنسان بالطريقة التي يعامل بها المجتمع أطفاله. فالمجتمع الذي يحترم أطفاله وشبابه يمنح لهم الحرية والكرامة، ويوفر لهم الظروف والأسباب التي تسمح بتنمية قدراتهم وصقل مواهبهم بما يهيئهم ليعيشوا حياة حرة كريمة".(**خماخم رضا، 1995، ص : 05)**

ومن المعاني أيضا التي تؤكد على الطبيعة اللاإنسانية وتبرز الجانب اللاأخلاقي الذي يطبع هذه الظاهرة، وهو يتجلى بكل وضوح في العبارة " تعتبر ظاهرة تشغيل الأطفال وصمة في جبين العالم المعاصر على حد تعبير منظمة العمل الدولية ".

7 .عوامل انتشار الظاهرة :

نلاحظ أن مختلف أسباب انتشار ظاهرة تشغيل الأطفال في العالم تعود إلى عدة عوامل متداخلة ومتلازمة إلا أن العوامل المباشرة يمكن حصرها أساسا في الثالوث المعادي، الفقر الأمية والأعراف التقليدية المتخلفة هذه العوامل المؤثرة تتفاعل فتولد أوضاعا اجتماعية متردية إلى أبعد حدود التصور، وقد يبلغ في كثير من الحالات، وفي عديد البلدان بصفة عامة وولاية بن عروس بصفة خاصة حيث يعيش أغلبية الأسر تحت مستوى سقف الفقر وتبلغ فيها نسبة الأمية درجات مرتفعة.

إن في بعض الدول الأفريقية والآسيوية ودول أمريكا اللاتينية خير مثال ودليل على ذلك. "على مدى السنوات العشرين الماضية، وفي الوقت الذي تشهد فيه العالم نموا اقتصاديا مطردا، ازداد عدد الأشخاص الذين يعيشون في حالة فقر إلى 1.2 مليون نسمة ومن ضمنهم 600 مليون طفل". **(بن صالح نجاة، 2004)**

- إن معظم التقارير والأبحاث والدراسات التي تناولت البحث في مشكلة تشغيل الأطفال، أجمعت وأقرت أن عامل الفقر يعتبر السبب الرئيسي الأول في انتشار ظاهرة تشغيل الأطفال في العديد من دول العالم، لاسيما، بلدان العالم الثالث التي يعيش مجتمعاتها أزمات خانقة بسبب تردي وتدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية إما نتيجة انعدام الموارد والثروات مقابل نمو ديمغرافي متزايد، أو عدم المساواة في استغلال وتوزيع تلك الموارد والثروات، إن وجدت بطريقة عادلة ومنطقة يستفاد منها الجميع.

- هذه الأوضاع المتدنية تدفع بعديد الأسر التي تعاني غالبا من الخصاصة، مما يجعل الأطفال إلى الانخراط في سوق الشغل لكسب لقمة العيش وضمان البقاء، وذلك على حساب حقوقهم ومصالحهم الفضلي من تربية وتعليم وصحة وسلامة " على واضعي السياسات الهادفة يمنع تشغيل الأطفال معالجة مسألة الفقر التي تكون غالبا بسبب المشكلة...

- تظهر البيانات أيضا ترابطا واضحا بين انخفاض مستوى الفقر وقلة عدد العمال من الأطفال وتوحي بأن تشغيل الطفل يكون سائدا بدرجة أعظم عندما لا يجد الأهل والأطفال أي بديل فعلي لعمله" (**http://usinfo.stage.gov.journals/sites/0505/ijea/edmonds.htm**)

فإلى جانب العامل الرئيسي المتمثل في الفقر، تبرز عوامل أخرى متفرعة ومؤثرة بدرجات متفاوتة، منها على سبيل المثال "الأمية والجهل، الأعراف الاجتماعية المتخلفة، الإخفاق المدرسي أو الانقطاع عن الدراسة كلها عوامل متداخلة ومتلازمة سببا ونتيجة.

8. المكافحة المؤسساتية للظاهرة:

لقد حضيت ظاهرة تشغيل الأطفال بأهمية واهتمام متزايد من قبل كل الدول التي التزمت، بمقتضى مصادقتها على الاتفاقيات الدولية ذات العلاقة، بمواجهتها وذلك بوضع خطط وبرامج واستراتجيات وآليات ناجعة تمكن من مقاومتها ومن ثمة اجتثاثها نهائيا. وتنتمي تونس إلى تلك المجموعة الدولية العريضة حيث صادقت على الاتفاقية العالمية لحقوق الطفل بموجب القانون عدد 29 لسنة 1991، وذلك الإعطاء دفع جديد بالبرامج الخاصة بمجال الطفولة بما

يجعل التشريعات والسياسات الوطنية ذات العلاقة الأكثر ملائمة والمتناغمة والمناسبة مع المبادئ والمعايير التي وضعتها الاتفاقية لفائدة الطفولة.

و من هذا المنطلق، وعلى هذا الأساس، تم تحقيق إنجازات هامة شملت على الصعيد الوطني التونسي، المستويات التالية.

1.8 على المستوى التشريعي : إصدار مجلة حماية الطفل بمقتضى القانون عدد 92 لسنة 1995 وذلك انطلاقا من مبدأ أن حماية الطفل تمثل اختبارا أساسيا واستراتيجيا لكل سياسة تهدف إلى تحقيق النهوض بالإنسان عموما، وبأجيال الغد على وجه الخصوص .

- تم البرنامج الوطني للعمل الاجتماعي بالوسط المدرسي
- برنامج المعالجة الاجتماعية لظاهرة التشرد والتسول بالمدن الكبرى
- إعلان يوم 11 جانفي: العيد الوطني للطفولة في تونس

2.8 على المستوى المؤسساتي :

- إحداث مراكز الدفاع والإدماج الاجتماعي.
- إحداث مرصد الأعلام والتكوين والتوثيق والدراسات حول حماية حقوق الطفل، بمقتضى الأمر عدد 327 المؤرخ في 14 فيفري 2002 وذلك كآلية جديدة لحماية الطفل كما ستحاول الإلمام بأهم الانجازات على الصعيد الدولي نذكر منها:

- على المستوى التشريعي

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، اعتمدتها الجمعية العامة للأمم بموجب قرارها المؤرخ في 10 ديسمبر 1948.
- الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في 20 نوفمبر 1989 بإجماع أعضائها وصادقت عليها تونس في 29 نوفمبر 1991
- الميثاق الأفريقي لحقوق الأفريقي لحقوق ورفاهية الطفل.

- إعلان يوم 2 جوان اليوم العالمي للقضاء على تشغيل الأطفال
- الاتفاقية عدد 138 حول تحديد السن الدنيا للعمل، صادقت عليها تونس سنة 1995.
- الاتفاقية عدد 182 حول حظر أسوأ أشكال تشغيل الأطفال صادقت عليها تونس سنة 2000.

- على مستوى المنظمات ي نجد

- منظمة العمل الدولية (OIT)
- مكتب العمل الدولي (B.I.T)
- منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (UNICEF) وهي ممثلة في تونس والأكيد أن ظاهرة لهذا الحجم وهذا الثقل، تستوجب تضافر كل الطاقات والجهود لتحقيق المزيد من المكاسب والانجازات لفائدة الطفولة، والتزام الجميع بالتشريعات القانونية، والأوامر والقرارات والتوصيات ذات العلاقة بمجال الدراسة في تونس وبن عروس كمثال تطبيقي للظاهرة حيث تم:
- القضاء على مظاهر الفقر ودفع العمل الإنمائي وتحسين ظروف العيش
- دعم برامج محو الأمية لتشمل مختلف الشرائح الاجتماعية، خاصة الأطفال والمراهقين والشباب.
- نشر ثقافة اجتماعية شاملة لدى الأفراد والأسر.
- توعية الأطفال بحقوقهم وتشجيعهم على مواصلة تعليمهم على أقل تقدير إلى حد بلوغ السن الأدنى القانونية للتعليم الإجباري (16 عام) وكسب نصيب من المعرفة يفتح لهم بعض الأفاق في مجالات وميادين العمل المنظم والمقنن وبالتالي، توفير إمكانية إدماجهم وانخراطهم في الدورة الاقتصادية.
- العمل من أجل تكافؤ الفرص والمساواة ونبذ كل أشكال التمييز والأقصاء

- دعم وتكثيف البرامج التثقيفية والتكوينية في شتى المجالات، العلمية والتقنية والتكنولوجية والفنية والرياضية والترفيهية لملىء الفراغ والقضاء على مظاهر الملل وروتين الحياة اليومية كبديل لما تتعاطاه الأطفال أعمال وأنشطة شاقة ومرهقة.
- حماية الطفل ورعايته وصيانة حقوقه واحترام مصالحه الفضلى في كنف أسرته باعتبارها أساسا بناء المجتمع .
- نشر ثقافة حقوق الطفل والتبصير لخصوصياتها الذاتية بما يضمن تناسق الشخصية وتوازنها من ناحية ورسوخ الوعي بالمسؤولية تجاهه من قبل أبويه وعائلته والمجتمع بأسره من ناحية أخرى ".**(خماخم رضا، 1995، ص : 09)**
- رصد ومتابعة ومراقبة كل مجالات العمل والأنشطة والخدمات التي يقوم بها الأطفال بدون استثناء، ومهما كانت طبيعة الأنشطة.

الحرص التام على تطبيق القوانين والتشريعات الجاري بها العمل بكل حزم، واتخاذ كل الإجراءات الزجرية الرادعة ضد المخالفين الخارجين على الأطر القانونية في مجال تشغيل الأطفال، والمتمردين على النظام الاجتماعي القائم، والمنحرفين عن الأصول والقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية المثلى، ومحاسبة المذنبين بكل صرامة، وذلك عملا بالقول "إن كل ما يقوم بإيذاء الأطفال، يسلبهم فرص النمو في صحة وأمان وكرامة ولضمان حماية الأطفال، يجب أن يسلط الضوء على حالات سوء المعاملة والاستغلال وأن يقدم كل ما تنهك حرمة الأطفال إلى العدالة". **(www.unicef.org/sow c06)**

- هذا مع التأكيد على عدم إهمال وإغفال أهمية التوعية الاجتماعية المستمرة على جميع المستويات ولدي مختلف الشرائح، باعتبارها المنطلق الرئيسي لخوض معركة مكافحة الظاهرة والوقاية منها.

. البناء الميداني : دراسة حالات:

1.9 الحالة الأولى:

- دراسة حالة الطفل مختار (16 سنة)

ميكانيكي:

الطفل "مختار" هو واحد من هؤلاء الأطفال، يعمل "صانع" في محل لإصلاح عجلات السيارات المتضررة، وكان مظهره مبعثرا، ملوثا تظهر على وجهه علامات الإرهاق والكآبة والملل، حركاته متباطئة وتحركاته متثاقلة. كما يبدو هائما شارد الذهن حتى أنه لم يشعر بقدومي، وكأنني كنت شبحا، وقد يعود ذلك لحالة الأعباء والضجر التي نالت منه ومن قدراته ونشاطه، أو أن أمرا ما يشغل باله وتفكيره وربما أخذه إلى عالم آخر غير العالم الذي هو فيه، عالم خيالي تتلاعب وتتصارع فيه الأحلام والأوهام .

مرت لحظات طويلة قبل، أن يستفيق "مختار" من هيامه ويعود من جديد إلى عالمه الحقيقي، إلى واقعه، أو لعل الواقع هو الذي أيقظه وأعاده إلى رشده.

صوب "مختار" نحوي نظرة بائسة وكأنه "يقول في نفسه كفاني اليوم عناء ومشقة لقد أخذت نصيبي وأكثر من التعب لساعات طويلة سلبت كاهل جهدي وكل طاقتي" توقف لحظة عن العمل، ثم سألني عن حاجتي سؤاله لم يفاجئني وكان منتظرا ولكنني مع ذلك شعرت بشيء من الضيق والحرج.

قلت له بأني لا أريد إزعاجه أو مضايقته وإنما أريد أن اعرف إن كانت الورشة تعمل يوم الأحد. ويبدو أن سؤالي هذا هو الذي أزعجه وأثار حفيظته، آن ذاك لمست في نبراته شعورا بالاستياء والاستنكار.

كان يبدو مستاء من قسوة الأيام وظلم الناس. اعتذرت له عن الإزعاج وسألته عن حاله وظروف عمله. أجابني بأنه باشر العمل في هذه الورشة منذ سنتين لما كان يبلغ من العمل 14 سنة، ولم يكن حين ذاك يفقه شيئا عن طبيعة العمل وظروفه حيث انقطع عن الدراسة في سن مبكرة حينها كان يزاول تعليمه بالسنة الخامسة وذلك لأسباب عائلية لا يمكن الكشف عنها، كما أن نتائجه لم تكن موفقة لانعدام التركيز وقلة المثابرة والمواظبة، نصحه أبوه بمغادرة مقاعد الدراسة والبحث مقابل ذلك عن عمل في إحدى المصانع أو إحدى الورشات ليساعدهم ويساهم في "مصروف الدار" لأن المعيشة غالية" و"الدنيا صعبت" حسب قوله.

كان في بداية مشواره مجرد صانع صغير يقوم بأعمال بسيطة لا تتطلب خبرة أو كفاءة مهنية معينة. يساعد "المَعَلمْ" (صاحب الورشة)، كما يقوم بتنظيف وتنظيم أدوات ومعدات العمل، وأحيانا يكلفه العرف بقضاء بعض الشؤون خارج المحل، كما يقوم بتنظيف الورشة بعد انتهاء العمل. وهو يعمل ساعات طويلة في اليوم (9إلى 10 ساعات) ولا يأخذ من الراحة إلاّ القسط القليل ولفترة قصيرة لا تتجاوز الربع ساعة يلتهم فيها "كسكروت" ثمّ يستأنف العمل على بعد الغروب. يعود إلى البيت كل مساء منهك القوي ويسترخي إلى النوم حتى قبل تناول العشاء من شدة التعب والإرهاق.

ولم يكن يتقاضى من الأجر إلاّ أقله 25 دينارا في الأسبوع مقابل 7 أيام في الأسبوع على طول النهار. يتمتع بالراحة إلا بمناسبة الأعياد الوطنية، وهي راحة ليست خالصة الأجر. ولم يكن يتقاضى منحا، ولم تكن له حقوق أو امتيازات، بل كان يعاني من قسوة الإساءة من "العرف" لم يكن تتردد لحظة عن إيذائه وشمته وإهانته لأتفه الأسباب وأحيانا دون سبب يذكر. ولم يكن يراعي صغر سنه وقلة نضجه الفكري والبدني، ولا يرحم طفولته، ولا يعير اهتمام أو مبالاة لوضعه الاجتماعي المتردي. كان كل همه "الخدمة والسْكات" و"الفلوس" إنه يعتبر أن

"الفلوس"هي كل شيء في الحياة، وأنه لا مجال للعواطف والمشاعر والشفقة وطيبة القلب، ولم يكن متسامحا أبدا معه.

يتوقف الطفل عن الحديث من العينة والأخرى وكأنه يسترجع ذاكرته ولا يريد أن ينسى أو يسهى عن أي جانب من معاناته، ثم يعود من جديد للحديث محاولا استعادة هبته رغم شعوره بالأسى والندم على ما فاته.

- يقول "مختار" أن وضعه بدأ في التحسن بعض الشيء بعدما اكتسب شيئا من الخبرة و"الصنعة". لقد أصبح أحيانا يعوّض مشغّله ويقوم بنفسه بالعمل، ويحاول التمكن منه جيدا إعداد للمستقبل كما أصبح يتقاضى أجرا أفضل بقليل مما كان عليه في بداية مشواره، إلا أنه يبقى مع ذلك دون المأمول: يتقاضى 120 دينارا في الشهر ويصل أحيانا إلى 150 دينارا في حالات استثنائية جدّا ويعتبر أن ذلك ليس بالشيء الكثير باعتبار طول ساعات العمل اليومية، وكذلك طبيعة العمل وما يكلّفه من عناء وإرهاق بدني وذهني، وما يتطلبه من جهد وطاقته.

هذا، كما صرّح بأن الأسى والحسرة التي تركها انقطاعه المبكر عن الدراسة وخلّفها معاناته منذ البداية، لم ولن يمحوها الدهر من ذاكرته، وعلى هذا الأساس، فهو يرى قيمتها خير حافز معنوي له مزيد كسب الخبرة والمهارة الكفيلة بأن تساعده وتكون خير سند له في قادم الأعوام لبعث مشروع مهني مماثل لحسابه الخاص وذلك من شأنه أن يغير مجرى حياته ويعود عليه وعلى أسرته بالخير واليسر والعيش الكريم.

كانت تلك هي أحلامه وآماله وطموحاته إلى جانب ما يمكن أن يكتسبه من مؤهلات مهنية، ما قد تساعده على إدراك مبتغاه.

- لقد تعمدت خلال لقائي به عدم التدخل أو مقاطعته أثناء حديثه تجنبا لأحداث أي تشويش أو تشتت على مجرى خواطره وتسير أفكاره، بل كنت كلّي آذانا صاغية أستمع إليه بكل اهتمام، وفسحت له المجال ليروي علي مسمعي سيرة حياته، بل سيرة طفولته اليائسة، المحرومة من أبسط الحقوق ومبادئ الكرامة، بكل أريحية وتلقائية. فأتت قصته مثيرة ومفيدة، وما شعرت أبدا في أية لحظة أنه يغالي بل كنت ألمس في حديقة ومن خلال حركاته وسكناته بصمات

شخصية رهيفة حساسة وشديدة التأثر، وكأنّها تتميز بقوة معنوية فائقة وحرص وإسرار كبيرين على تجاوز الصعاب ونيل مراده.

2.9 الحالة الثانية

دراسة حالة (الطفل فتحي 13 سنة)،(طولة ودهينة):

وجدته يوما جالسا إلى الأرض أمام باب ورشة معدة للمطالة ودهن السيارات كائنة بمشارف مدينة حمام الأنف. وكان وقتها يتناول فطوره بنهم كبير من شدة الجوع ولم يكن أفضل حالا من غيره من الأطفال المستخدمين في عديد الورشات ملامحه وسماته على حال من البؤس والتعاسة والمعاناة . لم يكن يرتدي بدلة مخصصة للعمل، بل كانت ملابسه الرثة ملطّخة بآثار الدهن ومادة "الماستيك" العالقة به. وكانت رائحة الدهن تنبعث بقوة من داخل الورشة وتحدث خلال واضطرابات شديدة على عملية التنفس، وهذا من شأنه أن يضر بصحة الأطفال ويهدد سلامتهم. ومن حسن الصدف أن الورشة كانت خالية ساعتها من العمال وبقي هو بمفرده يحرس المكان إلى حين عودة رفاقه، ولقد كان من اللائق والأفضل ألا أقلق راحته أو أقاطعه عن تناول وجبته القليلة "الكسكروت" ولكن لا بدّ لي من استغلال تلك الفرصة قبل رجوع الآخرين.

سألته عن حاله وأحواله وظروف عمله. تردّد قليلا قبل أن ينطق بكلمة واحدة : يبدو أنه كان متخوفا وحذرا ، وربما أستغرب الأمر، لعلّه لم يتعد ذلك من قبل، ولم يسبق له أن أحدا أيّا كان قد أبدى اهتماما لحاله وأحواله أو مراعاته رفقا بطفولته الهشّة.

قال أنّ اسمه فتحي يبلغ من العمر 13 سنة، ينتمي إلى عائلة فقيرة ومعددة الأفراد، يعيش أبويه حي شعبي لا يبعد كثيرا عن الورشة، وله خمس إخوة الأخ الأكبر يعمل في ورشة لميكانيك السيارات، وأربع بنات أصغر منه سنا وأم تقوم بشؤون البيت والأب يعمل بمزرعة صغيرة لأحد الجيران.

وأضاف فتحي (13 سنة) بأنه انقطع عن الدراسة في سن مبكرة جدّا وكان يقوم ببيع خبز الطابونة التي كانت تعده أمه، إثر انتهاء الدروس أيام كان تلميذا ولم يكن يجد جرّاء ذلك متسعا من الوقت لإعداد واجباته المدرسة أو مجالا للهو مع أقرابه من الأطفال الحي.

يروي فتحي قصة عائلته الفقيرة والميسورة الحال بعضهم منقطع عن الدراسة، والآخرون في أول مراحل طفولتهم، وفتحي يعمل وهو مازال صبيا لم يتجاوز الثالثة عشرة سنة. إنه بكل تأكيد وضع اجتماعي صعب ومؤسف إلى أبعد الحدود. فكل العوامل السلبية والعوائق تزامنت وتراكمت لتخلف ضحايا لا حول ولا قوة لهم يعانون الخصاصة والأمية والجهل، وفتحي واحد من هؤلاء الضحايا المساكين.

كان الطفل فتحي يؤكد بشدة على حبه وتعلقه بالمدرسة والتعلم، ولكن وضع العائلة المتردي أحال دون ذلك. هذا بالإضافة إلى جهل الآباء وقسوة الأيام عليه ترك مقاعد الدراسة مبكرا والالتحاق بسوق العمل في سن مبكرة جدا، وسرقت منه طفولته البريئة الحالمة التي لم يعرف لها طعما ولم ينعم بشذاذها وسحرها.

أمّا بخصوص طبيعة وظروف عمله، فإنه يجدها على غاية من الصعوبة، كما تنتج خاصة المخاطر الناجمة عن الأضرار الصحية وعدم توفر أيّة وقاية أو حماية أو تعد لصالح العملة من الأطفال. كما أشار أيضا إلى حالة الإرهاق الشديد التي يعاني منها نتيجة ساعات العمل الطويلة، حيث أفاد بأنها تصل إلى حدود 10 ساعات يوميا، وأن أيام الراحة تقتصر

خاصة على أيام الأحد وبعض الأعياد، وهي غير خالصة الأجر. أما بخصوص تعامله مع الحرفاء وتعاملهم معه ومع بقية رفاقه يقول "فتحي" بأنهم يختلفون عن بعضهم البعض فمنهم الطيب البشوش و"فاعل الخير "ومنهم المتعجرف، غليظ الطباع و"المشحاح". وكان المعلم يحرص على إرضائهم جميعا وذلك على حساب "الخدامة" إذ يجب عليهم أن يشقوا أكثر ويفنوا جهدهم وطاقتهم لإرضاء الحريف، وبالتالي إرضاء مشغلهم المستفيد الأول من عرق جبين العمال وخاصة منهم الأطفال الصغار أمثاله. العمل مرهق ويمثل خطرا على الصحة خاصة بانعدام وسائل وإجراءات الضمان والوقاية والحماية الواجبة والضرورية ضدّ حوادث الشغل والأمراض المهنية وفي المقابل، أجر زهيد لا يفي بالحاجة يقول فتحي أنه بتقاضي 30 دينارا في الأسبوع، مع زيادة دينار واحد أو دينارين في حالة استثنائية خاصة عندما يزداد حجم العمل في بعض الأحيان وكذلك بمناسبة العيد هذا النصيب من المال الذي يكتسبه بعرض جبينه وبتعبه وشقائه ، يسلمه لوالده ولا يبقي على شيء منه لنفسه، مع أنه يشعر أحيانا بحاجة إلى تلبية بعض رغباته وشهواته الصبيانية.

هذا كما أفاد الطفل فتحي بأنه غير راضي تماما عن وضعه من جهة، وعن ظروف عمله من جهة أخرى، وأنه ينوي الرحيل والانتقال في الأيام القليلة القادمة إلى العمل في ورشة لإصلاح كهرباء السيارات، لأنه على علم بأن طبيعة وظروف العمل هنا أحسن وأقلّ ضرار، كما أن "العرق" وصاحب الورشة رجل طيب وهادئ الطبع "يخلص أكثر" ويرفق بحال الأطفال الصغار ولا يسيء معاملتهم، كما أنه يحرص على تعليمهم الصنعة وهو طبعا يتمنى ذلك ويرغب كثيرا في حسن وضعه ومساعدة عائلته.

- توقف الصبي فجأة عن الحديث، وهو يدل على عودة رفاقه في العمل بعد تلك الراحة القصيرة ومن هنا يجب عليّ مغادرة الورشة في الحين.

تلك قصة الطفل " فتحي" الثالث عشر من العمر، وتلك حكايته مع الظلم والقهر والمعاناة، قسوة الحياة وظلم الناس. كلّ تمنياتي له يتحسن أوضاعه في المستقبل القريب، وإنصاف المجتمع إليه وترحم طفولته ويتمتع بكامل حقوقه كاملة ويوفر له الأمن والكرامة ورفاه العيش.

3.9 الحالة الثالثة

- **دراسة حالة 3 : (فاطمة 9 سنوات) متسولة**

أصبحت ظاهرة التسول من المشاكل الاجتماعية الإنسانية التي تشهدها دول العالم وخاصة منها الدول الفقيرة التي تعاني من مظاهر الفقر المتقع والبطالة والأمية والتشرد. وأصبحت هذه الظاهرة تنشط عادة في المدن الكبرى وضواحيها. هذه الظاهرة صارت منذ عقود طويلة تمثل مشهدا عاديا ومألوفا في حياتنا اليومية، وكانت في ما مضى تخص عادة فئات معينة من المسنين، شيوخا وعجائز، وبعض المعوقين وغيرهم من ذوي الحاجة الملحة الذين يعانون من الفقر والخصاصة، ومن فاقدي السند ومن لا عائل لهم، وكذلك البعض من الشباب التائه الضائع والعاطل عن العمل.

إلاّ أنّ المشكلة الأساسية في العقود الأخيرة أصبحت مثيرة ومزعجة إلى أبعد الحدود، وتبعث أكيدا على القلق والانشغال وذلك نتيجة الانزلاق والانسياق لأعداد هامة من الأطفال في هذا التيار الجارف، تتراوح أعمارهم ما بين سن الخامسة أو السادسة والمراهقة. أطفال يتم استغلالهم بتعريضهم واستخدامهم في نشاط وضيع مبتذل. هؤلاء الأطفال المتسولون منتشرون في كل مكان، يزعجون المارة والمتسوقين من الأهالي والمتساكنين، وكذلك الزائرين المتجولين من السائحين الأجانب، والمصلين في المساجد وغيرهم من الناس، ولا يكاد يفلت منهم أحدا جعلوا

من التسول مهنة ونشاطا يوميا عاديا، ووسيلة كسب سهلة ومريحة ولكل منهم حيلة ووسائله وطرق تعامله مع فريسة تضعها الصدفة في طريقه.

ذهبت عشية يوم الجمعة إلى المقبرة بضاحية رادس للترحم على أرواح بعض الأهل والأقارب، وكنت متيقن من تواجد العديد من الأطفال المتسولين، هائمين تائهين بين الأضرحة والقبور بحثا عن لقمة العيش. وبالطابع عثرت هناك على طفلة صغيرة توجهت نحوي مباشرة مدت يدها الصغيرة النحيفة، وطلبت حاجتها بنبرة مشحونة بالمسكنة المصطنعة والانعطاف المزيف "أعطيني "حويجة لله" ربي يفرحك "أمّي مريضة ويلزمها الدواء".

طفلة صغيرة في عمر الزهور، تتجول في أرجاء المقبرة بين الأضرحة وتمدّ يدها طلبا للحاجة، إنه لمشهد مؤلم، مؤسف ومؤثر إلى أبعد الحدود، ألم يكن من الأنسب والأفضل أن تكون في تلك اللحظة في البيت أو في قاعة الدراسة؟

كانت ترتدي ملابس رثة بالية، تمشي حافية القدمين واضعة على شعرها منديلا قديما – البؤس يتجلى في أبشع صورة.

طلبت حاجتها من جديد بتسول مفرط وإلحاح شديد قد يكون مقصودا. في صغر السن ولكن يظهر على أنها تعوّدت على ذلك الصنيع منذ نعومة أظافرها. وبدأت تتمرّس ممارسة ذلك النشاط المبتذل الذي أصبح يعدّ فنّا يتطلب دراية وحذقا ومهارة وتفننا من حيث وسائله وأساليبه. فهو لم يعد حاجة ماسة طبيعية وإنما صار هواية أو احترافا مثمرا ومكتسبا.

فتحت حافظة نقودي ولكني بقيت أتمعن في ملامح الطفلة، أرصد حركتها وظهور بعض العلامات الصغيرة على محياها. كانت عيناها الصغيرتان الضيقتان تحملقان في حافظة النقود بلهفة وشوق كبير، وقد تسارعت أنفاسها وأشرق وجهها الشاحب. بوادر الفرح والانشراح وعلامات الرضا بدت جليّة على وجهها، وكأنها حللت حركتي وفهمت مقصدها وحددت معرفتها. وبالتالي كلها شوق للحصول والقبض على النقود.

و أخرجت حافظة النقود غير أني لم أخرج منها شيئا. من الثابت والأكيد أني سوف أقدم لها بعض المال ولكن ليس قبل معرفة حكايتها. لم تترد قطّ، بل ظهرت كأنها على عجلة من أمرها بخصوص قضاء حاجتها.

اسمها "فاطمة" تبلغ من العمر 9 سنوات، تنتمي إلى عائلة فقيرة تعد 9 أفراد باعتبار الوالدين. أبوها عاطل عن العمل تجلس أمام المقبرة لطلب الحاجة أيضا، وكذلك الشأن بالنسبة لأخويها وأختها، بحيث يتفرق الجميع في جولة ذهابا وإيابا، بين صفوف القبور والأضرحة بحثا دائما ومستمرا عن غنيمة جديدة من بين الزوار المتردّدين على المقبرة.

تبقى الأم بالبيت بينما تأتي الجماعة كل يوم وخاصة الجمعة والأعياد لتعاطي نشاطهم المفضل والمعتاد، و"كل نهار وقسمو" كما تقول الطفلة، وفي المساء يعود الجميع إلى البيت وقد جمعوا نصيبا متفاوتا من المال سرعان ما يلهفه الأب، ربّ العائلة وقائد المجموعة وزعيم الفرقة.

سألتها عن التعليم والمدرسة، فكان الرد مؤلما، مؤسفا ومحيّرا. لا أحد من العائلة عرف يوما طريقا إلى المدرسة لطلب العلم والمعرفة. ما من أحد فكر أو تنبه لذلك. أسرة يعاني كل أفرادها الفقر والأمية والجهل.

الطفلة الصغيرة المسكينة لم تتعلم بين أحضان المدرسة ومقاعدها، ولكنها في المقابل تعلمت أصول وأساليب التسول والكسب السهل المبتذل بتشجيع من أوليائها.

تقول الطفلة " فاطمة " أن أباها كان يأخذها معه لترافقه أثناء تجواله منذ صغر سنها عندما لم تكن تفقه شيئا عن هموم الحياة ومشاغلها ومتاعبها.

أدركت أنها كانت تمثل أداة ووسيلة استعطاف لقضاء الحاجة وكذلك تمرّنا وتدربا على "الصنعة" وهاهي اليوم تعمل وتنشط في ذلك الحقل بعد أن تمكنت من أصوله وأساليبه.

قالت أيضا أنها تسمع عن المدرسة والتعليم من بعض أبناء الجيران وأطفال الحي المتمدرسين وأنها كانت تودّ أن تكون من بين صفوفهم ، ولكن حظّها التعيس حال دون ذلك.

حنت عليها أسرتها وظروف العيش وآفة الأمية والجهل وقلة الوعي والإدراك المتغلغلة في نسيج العائلة، وجعلت منها فرعا من غصن شجرة يابسة غير مثمرة ولا نافعة لما جعلت من طفولتها عالم بؤس وذلّ وهوان.

كانت الطفلة المسكينة تروي قصة معاناتها ويدها الصغيرة ممدودة طيلة الوقت، تنظر الحصول على بعض النقود، وكنت أستمع لها بتأثر بالغ وأسف شديد على ضياع مستقبلها وحياتها، وبشعور وإحساس عميقين بالأسى والحسرة والغبن لتشرد وضياع العديد من أمثالها من الأطفال.

أعطيتها نصيبا من المال يبدو أنه أرضاها وأسعدها لحدّ أنها طرت عليه قبضتها الصغيرة وأسرعت نحو وجهة مجهولة، ربما بحثا عن فريسة جديدة.

الطفلة " فاطمة " المتسوّلة زهرة ذبلت وضاع رحيقها قبل أن تتفتح. وأمثالها كثيرون، ولكن ما من أحد بإمكانه أن يحدد أو يقدّر عددهم الحاضرون في المشهد اليومي
و غائبون عن المتابعة والمراقبة.

10. الخاتمة

ختاما، نأمل أن يؤدي هذا البحث إلى تصميم نموذجي يمثل وضع الطفل العامل، داخل محيطه العائلي وخارجه حيث تتجلى فيه مظاهر البؤس والتعاسة والمعاناة لاعتبارات عدة : مناخ عائلي غير سليم وغير ملائم ، وضع اجتماعي أسري متدني نتيجة الحاجة الاجتماعية الماسة ، تدني المستوى التعليمي نتيجة عدم التمدرس أو الانقطاع المبكر عن الدراسة بموجب الضرورة الملحة للعمل ومساعدة العائلة على توفير متطلبات الحياة، أو بسبب الإخفاق المدرسي مما يدفعه مبكرا للالتحاق بسوق الشغل كبديل عن التعليم، وشعور عميق بالظلم والإقصاء والتمييز والاستغلال تلك هي الصورة القاتمة والوضع المزري الذي نجره تشغيل الأطفال.

ونأمل أيضا تدخلا دوليا ووطنيا مشتركا للتصدي لهذه الظاهرة ووضع حدّ لمعاناة أطفال يتمّ استغلالهم وهضم حقوقهم المشروعة وحرمانهم من التعلم وكسب المعرفة، ومن تمتعهم

بطفولتهم في محيطهم الأسري الطبيعي ولعلّ القادم من الأيام ومن السنوات، وما قد يحمله في طياته من تطورات وتغييرات على مستوى الواقع وما قد يفتحه من آفاق يقدم الإجابة.

- قائمة المصادر و المراجع :

1- **الاتفاقية الدولية** (2000)، عدد 182 المادة 3، صادقت عليها تونس .

2- **اتفاقية حقوق الطفل**. (1989) .اعتمدت بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، دخلت حيز التنفيذ في 2 سبتمبر 1990 وفقا للمادة 32.

3- إيدمونز، إيريك. **فهم مساوى تشغيل الأطفال**: الأنماط، الأنواع، والأساليب، على الرابط: http://usinfo.stage.gov.journals/sites/0505/ijea/edmonds.htm

4- بن صالح، نجاة (2004)، **محاضرة في الدورة الدراسية**، حول آليات الحماية في القانون التونسي المعهد الأعلى للقضاء 3.

5- خماخم رضا . قطران، حاتم، (1996)، **مجلة حماية الطفل**– معلّق عليها، وزارة شؤون المرأة والأسرة والطفولة– يونسيف، الجمهورية التونسية.

6- زين الدين الطفيلي، امتثال،(2004)، **علم نفس النمو من الطفولة إلى الشيخوخة**، دراسة تحليلية للسلوك والمعاش الإنساني، دار المنهل اللبناني للطباعة والنشر.

7- فرفينكل هالود سوسيولوجي أمريكي، (ب ت)، يعتبر مؤسس التيار الجديد، "**الإتنوميتودولوجيا**" (**l'éthnométodolgie**) ومخترع هذه اللفظة (أو التسمية).

8- فينمان ، ميشال (2005) المديرة التنفيذية لليونيسيف ، **تقرير " وضع الأطفال في العالم** " لندن : على الرابط www.unicef.org/sow c06_

9- **مجلة الشغل في تونس**، (1996)، الفصل 53 المنقح بالقانون عدد 62 لسنة 1996.

10-**مناهضة الاستعباد**، برنامج تشغيل الأطفال ، على الرابط:
www.Antislavery.org/homepage/antislavery/arachildlabour.htm